المحـاضرة13: مدرسة أكسفورد/ أوستين سيرل. **أ/ وفاء دبيش.**

تمهيد

بعد النقلة النوعية التي شهدها البحث اللغوي في القرن العشرين من خلال تجاوزه النظرة الفلسفية التجريدية، والتوجه نحو البحث العلمي بالتركيز على التحليل مراعاة لمبدأ الاستعمال، بوصفها موضوعا لا مجرد وسيلة للتفكير الفلسفي، والاحتفاء بالاستعمال اللغوي اليومي ودراسة الحس المشترك بمعزل عن طابع التجريد الفلسفي، وقد أومأت هذه الفكرة لعدد من الفلاسفة أمثال جوتلوب فريجه وبرتراند راسل ورودولف كارناب وفتجنشتاين... إلى ضرورة التعامل مع اللغة بعدها مدخلا أساسا لفهم الظواهر الوجودية، ومشكلات الفلسفة عموما.

في ظل هذه الرؤية وذلك التأثير الإيجابي المباشر لأطروحات فتجنشتين نشأت مدرسة أكسفورد التي شكلت انقلابا فلسفيا على الأفكار الرئيسة للوضعية المنطقية؛ فبدلا من نظرية إمكانية التحقق للمعنى التي تسمح للغة بوظيفة واحدة هي الوصف أو التقرير، أحل فلاسفة أكسفورد نظرية الاستعمال للمعنى التي كشفت عن استعمالات أخرى للغة ليس الوصف إلا واحدة منها؛ كما قادتهم نظريتهم إلى أنه من الاستحالة بمكان أن تستقل التعابير اللغوية بمعناها الثابت في انعزال عن المتكلم وسياق الكلام؛ فما من معنى للعبارات إلا في سياق محدد أخذه المتكلم بعين الاعتبار.

وقد رفض فلاسفة مدرسة أكسفورد هذا القصور، لأن الوصف، في نظرهم، يشكل وظيفة واحدة من بين وظائف كثيرة متنوعة للغة، إذ توجد إلى جانب الوصف أغراض أخرى تستخدم من أجلها اللغة. فهناك السؤال، والأمر والنهي، والتعجب والرجاء، وهلم جرا. الأمر الذي دفع فلاسفة أكسفورد إلى البحث عن قواعد الاستعمال أي القواعد التي تحتكم إليها هذه العبارة أو تلك، تحت هذا الظرف المعين أو ذاك، ومن ثم راحوا يبحثون عن المعنى في حدود الاستعمال اللغوي من أشهر هؤلاء الفلاسفة أوستين وتلميذه سيرل؛ إذ قام الأول (أوستين) بوضع الفرش النظري والمبادئ العامة لما عُرف بنظرية أفعال الكلام، أما الثاني (سيرل) فقد تبنى اقتراحات أستاذه مطوّرا بعض منها، حيث أعاد النظر في فعل القول، و في تصنيف الأفعال اللغوية.

1- نشأة مدرسة أكسفورد:

نشأت مدرسة أكسفورد تحت التأثير الإيجابي المباشر لأطروحات "فتجنشتاين"، الذي كان يرى أن وظيفة الفلسفة هي توضيح منطق اللغة والفحص الدقيق لكيفية عملها.

تنطلق الفلسفة اللسانية لمدرسة أكسفورد من التحليل اللغويAnalyse) (linguistiqueكأساس لمعالجة المشكلات الفلسفية والتعبير عنها باللغة العادية، وذلك انطلاقا

من فكرة أنّ اللغة العادية صحيحة تماما، وأنها بالتالي يمكن أن تفي متطلبات البحث الفلسفي، وكذلك ترتكز فلسفة أكسفورد على نقد المثالية بل واستبدالها بفلسفة اللغة العادية، والاهتمام بتغيير المفاهيم ومنطق التعبيرات وذلك بإحالة مشكلات الفلسفة إلى مسائل لغوية[1] وفي هذا الصدد يؤكد العالم الفيلسوف "ستراوسون (Strawson) " على ضرورة الاهتمام بتوضيح الأفكار عن طريق الاستعمال الدقيق لمنطق التعبيرات اللفظية، كما أكد الفيلسوف "أوستين (Austin) "أن اللغة العادية تقوم على أسس متينة تستحق الاهتمام.

إن مدرسة أكسفورد مدرسة فلسفية عامة لا فلسفية تقليدية، وعلماؤها تجمعهم أفكار واحدة

أهمها:

البدء من اللغة العادية، وتوضيح منطق الاستعمالات الخاصة بالمصطلحات، وتحديد المعنى عن طريق الاستعمال في ظل الشروط الملائمة، ورفض الشعارات العامة من قبيل الفلسفة هي التركيب المنطقي للغة، ومعنى القضية هو منهج تحقيقها.

لقد اعتقد "فتجنشتاين" وفلاسفة أكسفورد بأن ثمة شيئا ما خطأ في مناهج الفلاسفة السابقين، وأن المنهج الصحيح لحل المشكلات الفلسفية لابد أن يتضمن دراسة دقيقة لمنطق اللغة، واللغة في حقل فلاسفة أوكسفورد بفحص منطقها في اللغة العادية، وذلك على خلاف "برتراند راسل (Bertrand Russell) "والوضعيين المناطقة الذين حاولوا الاستعانة بلغات اصطناعية ذات صياغة صورية عالية." [2]

وقد نظر فلاسفة أكسفورد إلى وظيفة اللغة التي أصبحت تتجاوز الوصف ونقل الواقع كما هو إلى التواصل والتأثير والتغيير في الواقع، فإلى جانب الوصف هناك أغراض أخرى تستخدم من أجلها اللغة، فهناك الأمر والنهي والاستفهام، والرجاء والتعجب، الأمر الذي جعل فلاسفة أكسفورد يبحثون عن قواعد الاستعمال، أي القواعد التي تحكم استعمال هذه العبارة أو تلك تحت هذا الظرف المعين أو ذاك، وهكذا راحوا يبحثون عن المعنى في حدود الاستعمال اللغوي، وتوصلوا إلى نظرية جديدة في نظرية الاستعمال للمعنى. [3]

أكد فلاسفة أكسفورد على أهمية اللغة العادية، وإمكاناتها الإبلاغية وطاقاتها التعبيرية، واهتمت

بظروف القول المحيطة بالمتكلم والمتحكمة في استعمال اللغة والسياق الذي تنجز فيه واستعمالاتها لتأدية مقاصد مختلفة، وهو ما تهتم به التداولية أي التركيز على خصائص استعمال اللغة ثم دراسة أفعال الكلام التي نادي إليها "أوستين" [4]

2- الفعل الكلامي من (أوستن) إلى (سيرل):

---

(1) -المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(2) -التحليل اللغوي عند مدرسة أوكسفورد، صلاح إسماعيل عبد الحق، ص: 17.

(3)المرجع نفسه، ص 20

(4) التحليل اللغوي عند مدرسة اكسفورد، صلاح اسماعيل عبد الحق، ص 20، 21

لقد كان منشأ حقيقة نظرية الأفعال الكلامية عند جون أوستين من خلال ضمه التأثير الأرسطي و خاصة منه الخطابة إلى جهود المشتغلين بالفكر الفلسفي واللساني المعاصر كأعمال (بواس وسابير وورف) و بالأخص فلسفة (غوتلوب فريجه) التحليلية و لودفينغ فيتجنشتاين) في اللغة العادية ، مما كان له الأثر العميق في فلسفته ، كما استفاد من تطور نظريات القانون الإداري والتي منها صاغ " نظريته العامة في الأفعال الكلامية وقد افتتح محاضراته بمحاولة البرهنة على عدم صحة الثنائيةDichotomie المفتعلة بين الخبر والإنشاء" [1] نستطيع أن ندرج في آخر هذه المحاضرة أهم المعارف التي حوتها نظرية الأفعال الكلامية التي جاء بها أوستين و تلميذه سيرل، وذلك من خلال التأثر بها والاستفادة من طروحاتها إذ تنحصر أهم هذه الحقول والمواضيع في جملة من القضايا ، نلخصها في [2]:

أ / ـ متضمنات القول : وهو مفهوم تداولي إجرائي مفاده رصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب
ضمنية من قوانين الخطاب ، تحكمها ظروف الخطاب العامة كسياق الحال وغيره، ومن أهمها:

- الافتراضات المسبقة : وهي الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية
التواصل.
- الأقوال المضمرة : وهي المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها، وتحقيقها مرهون
بخصوصيات سياق الحديث.

ب / الاستلزام التخاطبي أو المحادثي : وهو ظاهرة لغوية سماها الفيلسوف غرايس بـ (الاستلزام
الحواري مقترحا نظريته " المحادثية - 1975 ونصها أن التواصل الكلامي محكوم بمبدأ عام (مبدأ التعاون) وبمسلمات حواريةMaximes ، إذا تم خرق إحدى هذه القواعد تحصل ظاهرة الاستلزام التخاطبي ، وجعل مبدأ التعاون ينهض بأربع مسلمات هي:

- مسلمة القدر (الكمية)
- مسلمة الكيف.
- مسلمة الملاءمة.
- مسلمة الجهة.

---

(1)جون أوستين : نظرية أفعال الكلام العامة - تر : عبد القادر قنيني : ص : 08.
(2) - 100مسعود صحراوي : التداولية عند العلماء العرب - (تفاصيل أكثر: ص.

ج / ـ نظرية الملاءمة (Théorie de la Pertinence) وهي نظرية تداولية معرفية أرسى معالمها كل من اللسانيين دير درويلسون (Wilson. و (دان سبربر Sperber...ولأنها تنتمي إلى العلوم المعرفية الإدراكية وتبين موقعها بدقة من اللسانيات خصوصا من علم التراكيب اكتست بأهمية بالغة بالنسبة للتداولية.

ولقد استفادت النظرية من مبدأ التعاون الغرايسي ومسلماته الحوارية ، بل وأعادت النظر في نظرية غرايس وقلصت محتوياتها مقتصرة على مبدأ الملاءمة) كأساس مركزي يختزل جميع المسلمات المذكورة ، ومن أهم ما ركزت عليه تصورها للسياق.

د / ـ الأفعال الكلامية : يعد مفهوم الفعل الكلامي نواة مركزية في الكثير من الأعمال التداولية وفحواه أنه كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، وفضلا عن ذلك يعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل بأفعال قولية إلى تحقيق أغراض إنجازية، وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي كالرفض والقبول ، ومن ثم فهو فعل يطمح أن يكون ذا تأثير في المخاطب اجتماعيا، أو مؤسساتيا ، وقد مر بنا في صفحات سابقة أهم ما جاء به أوستين وسيرل في هذا الباب.

ومن أهم ما ركز عليه بعض الباحثين التداوليين المعاصرين في ميدان حقول التداولية وقضاياها أيضا ، ما يتعلق بـ: [1]

هـ / الملفوظية : وهي اتجاه جديد في دراسة اللغة ينطلق من تطوير جاد للثنائية السوسيرية (لسان كلام)

مستندا إلى المفاهيم التداولية الجديدة في شرح علاقة اللغة بالمتكلم، تطورت مع إميل بنفنيست وتابعيه ، وركز هذا الاتجاه على مفهوم الأداء الفردي للغة دون عزله عن شروط التفاعل، لذا فمفهومه يقوم على النظر في الاستخدام الفردي للغة.

و / ـ التفاعل والسياق: يعد موضوع التفاعل من أهم معارف الفلسفة اللغوية الحديثة التي كانت مهدا للتداولية ، وهو مرتبط بفكرة (الفعل (الكلامي ومن المضامين التي بحثها موضوع التفاعل (دراسة القدرة التواصلية ، شروط فعل التواصل دراسة السياق والمقام...) ، كما يعد السياق محل اهتمام التداولية لأن الدرس التداولي في كليته مرهون بارتباط النص والخطاب بالسياقات.

ز / الوظائف التداولية : أهم ما عرض له الدارسون المعاصرون تجاوز فكرة الوظيفة الوحيدة للغة التواصل إلى تعدد الوظائف أهمها الوظيفة التأثيرية في السلوك والتي

---

(1)خليفة بوجادي : في اللسانيات التداولية : (تفاصيل أكثر : ص 122.89)
صلاح اسماعيل عبد الحق التحليل اللغوي لدى فلاسفة مدرسة أكسفورد 1999م، ص 272، على الرابط الآتي:
https://keefbook.net/products/%D8%A7D9%81%

تتبني عليها تغيرات في المواقف والآراء ، وإن كان تعدد الوظائف للغة نشأ مبكرا مع (جاكبسون) في مخطط التواصل المعروف وبعده مع (بوهلر وهاليداي... وغيرهما، أي قبل نضج الدرس التداولي عموما إلا أن المراد هنا هو أهم الوظائف التداولية التي أحدثها (سيمون ديك) في نظرية النحو الوظيفي 1978م لاهتمامه بقيمة العنصر ودوره في الجملة بعده واحدا من مكونات عناصر الإبلاغ العام، وبوصفه معطى ضمن سياق ومقام قيمته منها ودوره خلالهما.

ح / - الحجاج : وهو مجال غني من مجالات التداولية ، منبثق من حقل المنطق والبلاغة والفلسفة يقوم في

مفهومه على صناعة الجدل والخطابة ، وهو مبحث تطالبه الجهود الكثيرة من الدراسة والتقصي ، من خلال إحياء التراث الفلسفي والبلاغي وإعادة قراءة له توافق الخطاب الموجود.

خـــــــاتمة:

من خلال هذا العرض الوجيز فقد استطاع فلاسفة مدرسة أوكسفورد "كامبردج" وعلى رأسهم أوستين وزملائه الذين طوروا أفكاره من "رايل وستراوسون، ونويل سميث وأشعيا برلين ... "وغيرهم، تقديم أطروحة فلسفية لغوية متماسكة وجديدة أعادت النظر في مجمل الدرس الفلسفي للموضعانية المنطقية، حيث زعزعوا صرح نظرية إمكانات التحقق للمعنى بوظيفة واحدة وهي الوصف والتقرير أحلّ فلاسفة اوكسفورد نظرية الاستعمال التي أظهرت استعمالات لغوية أخرى " للغة ليس الوصف إلا واحدا منها : كما قادتهم نظريتهم إلى أنه ليس للتعبيرات اللغوية من معنى ثابت ومستقل تماما على المتكلم والسياق فما من معنى للعبارات إلا ي سياق محدد أخذ المتكلم بعين الاعتبار.

ولعل النتيجة المثيرة - المترتبة على تحليل فلاسفة أكسفورد لوظيفة اللغة ونظريتهم في المعنى - هي ما انتهوا إليه من أن لكل نمط من القضايا نوع خاص من المعنى ؛ مما أتاح لهم إضفاء الشرعية - أو ردها - على المباحث الفلسفية في الميتافيزيقا والأخلاق والجمال بعد أن كان الوضعيون المناطقة قد أخرجوا قضاياهم من حيز التفلسف" [1]

(1)صلاح اسماعيل عبد الحق ، التعطيل اللغوي لدى فلاسفة مدرسة اكسفورد 1993م ص 272 على الرابط الأتي http://keefbook.net/products/%D8%A7D9%81%